

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور، أنفسنا و سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له و من يضل فلا هادي له، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك و له الحمد يُحيي و يميت و هو على كل شيء قدير. و أشهد أن محمداً عبده و رسوله، خير الخلق و البشر. أشهد أنه بَلَّغَ الرِّسَالَةَ و نصح الأمة و دعى إلى الله حتى أتاه اليقين. صلى الله عليه و سلم، و على آله و أصحابه، و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين و سلم تسليماً كثيراً.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ النساء: ١

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ آل عمران. 102

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ الأحزاب: ٧٠ - ٧١

أما بعد:

ألا إن خير الكلام كلام الله، و خير الهدى، هدى محمد بن عبد الله. و إن شر الأمور محدثاتها و كل مُحدثة بدعة و كل بدعة ضلالة و كل ضلالة في النار.

لازلنا إخوة الإيمان في موضوع الأمانة و ذلك لعظم أمره. فإن تضيع الأمانة من علامات الساعة كما أخبر عن ذلك رسولنا الكريم. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما النبي يُحدِّثُ القوم، جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله صلى الله عليه و سلم يُحدِّثُ، فقال بعضُ القوم: سمع ما قال فكره ما قال، و قال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه قال: أين أراه السائل عن الساعة؟ قال: ها أنا يا رسول الله، قال: فإذا ضيَّعت الأمانة فانتظر الساعة، قال: كيف إضاعتها؟ قال: إذا وُسدَّ الأمرُ إلى غير أهله فانتظر الساعة. رواه البخاري.

و يقول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث آخر: «إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ الْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُخَوَّنَ الْأَمِينُ، وَيُؤْتَمَنَ الْخَائِنُ حَتَّى يَظْهَرَ الْفُحْشُ وَالتَّفَحُّشُ، وَسَوْءُ الْجَوَارِ،

وَقَطِيعَةُ الْأَرْحَامِ» صحيح - رواه أحمد والبخاري. ففي آخر الزمان يكون الأمين معدوماً أو شبه معدوم

بين الناس

وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم من حديث أنس رضي الله عنه: (أَوَّلُ مَا تَفْقَدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الْأَمَانَةَ، وَ آخِرُهُ الصَّلَاةَ.) السلسلة الصحيحة الألباني.

و الأمانة صفة حميدة يَتَّصِفُ بِهَا خِيَارُ النَّاسِ وَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ يُدْعَى فِي مَكَّةَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ بِالْأَمِينِ لِأَمَانَتِهِ وَ صَدَقَهُ.

من أعظم ما يُؤْتَمَنُ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ؛ الْأَمْوَالُ الْعَامَّةُ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ تَعَالَى حِفْظَهَا كَمَا يَحْفَظُ الْإِنْسَانُ مَالَهُ وَأَشَدُّ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: «مَنْ اسْتَعْمَلَنَا مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ، فَكَتَمْنَا مَخِيطًا فَمَا فَوْقَهُ؛ كَانَ غُلُولًا يَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» رواه مسلم. وفي الوقت ذاته؛ مَدَحَ رَسُولُ اللَّهِ الْأَمِينَ عَلَى الْأَمْوَالِ، بِقَوْلِهِ: «الْخَازِنُ الْأَمِينُ الَّذِي يُؤَدِّي مَا أَمَرَ بِهِ طَيِّبَةً نَفْسُهُ؛ أَحَدُ الْمُتَصَدِّقِينَ» رواه البخاري. يقول الله تعالى:

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كِتَابًا فَرِهْنُمْ مَقْبُوضَةً فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا

تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ البقرة: ٢٨٣

ومن الأمانات العامة التي يجب تقوى الله فيها:

الوظائف بشتى أنواعها والمسؤوليات بمختلف صورها؛ فَعَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضْرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ! إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا» رواه مسلم

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ اسْتَعْمَلَنَا مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ، فَكَتَمْنَا مَخِيطًا فَمَا فَوْقَهُ؛ كَانَ غُلُولًا يَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» رواه مسلم. وفي الوقت ذاته؛ مَدَحَ الْأَمِينَ عَلَى أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ، بِقَوْلِهِ: «الْخَازِنُ الْأَمِينُ الَّذِي يُؤَدِّي مَا أَمَرَ بِهِ طَيِّبَةً نَفْسُهُ؛ أَحَدُ الْمُتَصَدِّقِينَ» رواه البخاري

فمن الأمانة إن كُنْتَ فِي مَوْقِعٍ مَسْئُولِيَةٍ تَوْظِفُ النَّاسَ أَوْ تَسْتَعْمَلُهُمْ فَعَلَيْكَ أَنْ تَوْظِفَ مَنْ هُوَ كُفَاءٌ لِلْعَمَلِ يَقُومُ بِمَصَالِحِ رَبِّ الْعَمَلِ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِ. قال الله تعالى:

﴿قَالَتِ إِحْدَاهُمَا يَتَّابَتِ اسْتَجِرُّهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَجَرَّتْ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ القصص: ٢٦

وقال الله تعالى في سورة يوسف: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ﴾ يوسف: ٥٥

وفي حديث حذيفة - رضي الله عنه؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال - لأهل نجران: «لَأَبْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ» رواه البخاري ومسلم. فَاسْتَشْرَفَ لَهُ النَّاسُ؛ فَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ -رضي الله عنه

أيضاً من الأمانة أداء العمل في الوظائف على أكمل وجه يبرء الذمة أمام الله عز و جل، و أن لا ينشغل الموظف أثناء الوقت المخصص لعمله بعمل غير الذي كُلِّفَ به. و كما أن الإنسان يرغب في أخذ أجره كاملاً و لا يحب أن يبخس منه شيء، فعليه أن لا يبخس شيئاً من وقت العمل يصرفه في غير صالح العمل، و قد ذمَّ الله الْمُطْفِقِينَ في المكابيل و الموازين الذين يستوفون حقوقهم و يبخسون حقوق غيرهم، فقال تعالى:

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾ المطففين: ١ - ٦

أيضاً من أداء الأمانة، إرجاع أموال الناس لأصحابها في حال الاقتراض أو إيداع هذه الأموال كإمانة. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا؛ أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا؛ أَتْلَفَهُ اللَّهُ» رواه البخاري.

و من الأمانات العظيمة أمانة الدعوة إلى الله تعالى، و حمل هذا الدين، و إبراز محاسنة العظام و فضائله الجسام و من الأمانة العظيمة على العلماء تبصير المسلمين بسنة نبينا محمد صلى الله عليه و سلم، و هدي صحابته رضي الله عنهم.

و على العلماء تحمُّل أمانة الفتوى، فعلى مَنْ صَدَّرَ نَفْسَهُ لِلْفَتْوَى أَنْ يَعْلَمَ عِظَمَ الْأَمَانَةِ، فَمَا حَصَلَتْ الانحرافات في الأمة إلا بسبب التصدر للفتوى بلا علم، و قد حذرَّ الله تعالى من القول عليه بغير علم، فقال تعالى:

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتَكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَّعَ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ النحل: ١١٦ - ١١٧

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: مَنْ أُفْتِيَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ إِثْمُهُ عَلَى مَنْ أَفْتَاهُ . وفي زيادة: وَمَنْ أَشَارَ عَلَى أَخِيهِ بِأَمْرٍ يَعْلَمُ أَنَّ الرُّشْدَ فِي غَيْرِهِ فَقَدْ خَانَهُ. رواه أبو داود ( حديث حسن )

فقضية أن يُقَالَ: إِنَّ الدين للجميع؛ نعم، ولكن لا يتكلم أحد إلا بعلم، حتى العالم الجهبذ الذي يعتبر رأس الهرم العلمي لا يحل له أن يفتي بلا علم، والرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو أعلم الناس بالله وأفضل الرسل سُئِلَ عن الروح فسكت حتى أتاه الوحي و نزلت الآية:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۗ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الإسراء: ٨٥

و للأسف نرى جُرأت بعض الناس على الفتيا. فإذا سُئِلَ عن أي مسألة أجاب عنها بدون ترددٍ و لا يقول لا أعلم أو لا أعرف و هو يعرف أنه عامي و لكن يتجرأ على الفتيا. لا يرجع إلى أهل العلم. يقول الله تعالى:

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۗ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ

يَسْتَبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ النساء: ٨٣  
و معنى قوله جل و علا: لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَبِطُونَهُ مِنْهُمْ: أي يستخرجونه بفكرهم و آرائهم السديدة و علومهم الرشيدة. و في هذا دليل لقاعدة أدبية و هي أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور ينبغي أن يؤولي مَنْ هو أهل لذلك و يُجعل إلى أهله، و لا يتقدم بين أيديهم، فإنه أقرب إلى الصواب و أخرى للسلامة من الخطأ<sup>1</sup>.

أيها المسلمون

لقد حثَّ الإسلام على حفظ الأمانة و حذر من الغدر فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لِكُلِّ غَادِرٍ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، يُرْفَعُ لَهُ بِقَدْرِ غَدْرِهِ، أَلَا وَلَا غَادِرَ أَعْظَمُ غَدْرًا مِنْ أَمِيرِ عَامَةٍ» رواه مسلم

فالله الله في أماناتكم يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ التوبة: ١١٩

اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

<sup>1</sup> تفسير السعدي.